الإبداع والموفقية



تأليف
محسن الكاظمي

دار النبلاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

الإبداع والموفقية


بسم الله الرحمن الرحيم

الإبداع والموفقية

تأليف

محسن الكاظمي

ت ـ حيدر محمد جواد

دار النبلاء

طباعة - نشر - توزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار النبلاء

طباعة - نشر - توزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب.: ١١/٨٦٠١ - هاتف : ٠٣/٨١٤٢٩٤ خليوي

تمهيد

ان قيمة الإنسان وجوهر الإنسانية يكمن في تمتع هذا الكائن الحي بقدرات ذهنية خلاقة وقوىً فكرية فائقة تميزه عن سائر الكائنات الحيّة الأُخرى، ولا شك أن إدارة هذه القوى إدارة صحيحة سيزيد الإنسان جمالاً وروعة وسيسهم في استقرار أجزاء المجتمع كل في مكانه المطلوب .

ان مفهوم العدالة الاجتماعية الذي نعتبره اليوم من أهم شعاراتنا الرسالية لن يتحقق أبداً إلا بالتأكد من سلامة الإدارة الاجتماعية و صحة عمل المدراء في المجتمع؛ الشيء الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسلامة الإدارة الفكرية .

اذن فمفهوم الإدارة الفكرية مفهوم مهم يتسنى لنا من خلاله الاجابة على الكثير من الاسئلة التي نواجهها في الحياة .

والكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ يسلط الضوء على

هذه الحقيقة ويعدّ بدوره خطوة أولى في عرض هـذا المـوضوع . آملين أن يكون هذا الكتاب نقطة انطلاق وبادرة خـير لأصـحاب الرأي والقلم في متابعة الموقع الاجتماعي الحقيقي لهذا المـوضوع ودراسته دراسة موسعة...

قسم الدراسات والبحوث العلمية

في مركز (القدر) الثقافي

الفصل الأوّل

الإدارة الفكرية

لقد شهد العالم البشري في الآونة الأخيرة تطوراً سريعاً أدى إلى تطور كمي ونوعي في مجموع نشـاطات الإنسـان وفـعالياته اليومية، وقد تزامن هذا التطور مع فقدان الإدارة الفكرية السـليمة وانعدام روح الانضباط في أفراد المجتمع البشري. وقد عمّت هذه المشكلة جميع المجتمعات في عـالم اليـوم بـما فـيها مـجتمعاتنا الإسلامية. ويمكن ملاحظة هذه الحقيقة في مـلامح حـياة جـميع الناس بمختلف فئاتهم وطبقاتهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية.

ولا شك أن سرعة التطور المسـتمر فـي الآلات والمـعدات الحديثة أدى إلى اتساع الهوة بين الشـعوب المـتطورة والمـتأخرة بشكل قد يؤدي في نهاية المطاف انـعدام الإيـمان بـمبدأ هـادفية الخلق، وقد يعرّض المجتمعات البشرية إلى خطر التمزق والانهيار الناجم عن الفوارق الموجودة بين المستويات العلمية والثقافية.

اذن فطرح مبحث الإدارة الفكرية إلى جانب سائر حقول علم الإدارة بل وفي مقدمتها يعدّ أمراً ضرورياً يـجب أن يـؤخذ بـنظر

الاعتبار لما فيه من أهمية بالغة.

وعلى أصحاب الرأي والقلم أن يأخذوا على عاتقهم دراسة هذا الموضوع والتخطيط له كي يتسنى لنا استثمار آلياتنا الفكرية بشكل مطلوب ولكي لا تضطرنا التنمية ـ الكمية والكيفية ـ إلى الانزواء أو إلغاء أهداف الخلقة العالية من برامج حياتنا العامة.

وصفوة القول أن الأنظمة الإدارية في المجتمع الذي يتمتع بإدارة فكرية سليمة ستكون سليمة أيضاً وان ضعف الإدارة وانعدام التخطيط السليم الذي نشاهده في المجتمعات المتخلفة بما فيها مجتمعنا الإسلامي ناجم عن عدم تمتع المد راء بإدارة فكرية سليمة.

علينا الآن وبعد أن عرفنا قيمة الإدارة الفكرية ودورها في المجتمع، أن ندرس السبل الكفيلة للحصول عليها وذلك عن طريق إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لكي يشقّ هذا النوع من الإدارة طريقه في مجتمعاتنا جنباً إلى جنب مع سائر أنواع الإدارة بل وفي مقدمتها وليكون حافزاً على سلامة سائر أنواع الإدارة في المجتمع.

ومن العيوب الأُخرى التي تعاني منها مجتمعاتنا الإسلامية على وجه الخصوص هو عدم الانسجام بين أساليب العمل في الإدارة الاجتماعية والنزعات الفكرية الناجمة عن القيم والعقائد التي يحملها الفرد، بعبارة أخرى أن المدراء الذين نجحوا في بعض

المجالات وخطوا خطىً بناءة في بعض قطاعات المجتمع يعانون غالباً من نوع من التعارض وعدم الانسجام بين إدارتهم العملية وإدارتهم النظرية. والسبب في ذلك يرجع إلى منشأ هاتين الإدارتين، فالإدارة العمليية تؤخذ عادة من الغرب بينما تنبثق الإدارة النظرية عند المدراء في مجتمعنا من التعاليم والقيم الدينية. وهذا التعارض الموجود في ماهية هاتين الإدارتين يرغم المدير على التنازل عن بعض القيم الدينية تارةً ويفسد عليه حلول الإدارة الغربية تارةً أُخرى.

اذن لو أردنا الحصول على إدارة سليمة في عالم اليوم، فعلينا:

أولاً: تكوين إدارة نظرية سليمة ترتكز على أساس القيم الدينية

ثانياً: أن تكون لنا إدارة عملية تنطبق مع إدارتنا النظرية السليمة بشكل كامل حتى:

١ ـ لا نميل في أفعالنا وردود أفعالنا تجاه العالم إلى الشرق أو الغرب أو الأطروحات الإدارية الشرقية أو الغربية.

٢ ـ لكي نتمكن من فتح باب الحوار مع العالم على أساس ثقافتنا الاجتماعية والبناء الروحي لمجتمعنا فان من السفاهة

أن ندعو العالم إلى الحوار ثم نماطل الناس بكلماتهم ونرد إليهم بضاعتهم.

بيد إننا لو وضعنا مقاييس الإدارة في مجتمعنا على أسس إدارية إسلامية وانتخبنا مدراءنا من بين أشخاص يحملون أفكاراً إسلامية سليمة سيكون لنا الحق أن نقول أننا نحمل أفكاراً إسلامية تمكننا من إدارة المجتمع، وعندئذ سيتحول مشروع حوار الحضارات من مجرد مناورة سياسية إلى بحث حقيقي يستقبله العالم بلهفة وشوق.

بعد هذه المقدمة علينا أن نتساءل الآن: ماذا نفعل؟ ومن أين نبدأ؟ وما علينا أن نفعل لكي نحصل على إدارة نظرية ناشطة وفاعلة؟ وما هي وجهة نظر الدين بالنسبة إلى طريقة الحصول على هذا النوع من الإدارة؟ أسئلة تطرح نفسها بإلحاح، وعلى المفكرين أن يبذلوا قصارى جهدهم للتوصل إلى أجوبة مناسبة لها ليقدموها إلى الجيل الجديد لكي تتبلور أفكاره على أساس القيم الإيمانية ويكون قادراً على ترسيخ القيم الدينية في المجتمع الإسلامي.

لقد عمدنا في هذا الكتاب الى طرح مبحث الإدارة النظرية على أساس تنمية روح الابداع والخلاقية لأننا نعتقد أن رسوخ هذه الروح بمعناها الحقيقي بين أفراد المجتمع سيؤدي إلى تنمية ـ كمية

ونوعية ـ في أسلوب الإدارة النظرية نظراً لما ينجم عن هذه الروح من تخطيط ورقابة .

لذا سنستعرض في البداية موضوع «الشخصية» و «الشخصية الخلّاقة» ثم نتطرق إلى دراسة «الدافع» و «الهدف» و «الابداع»، ثم نتابع بحثنا بدراسة الموانع والحوافز المؤثرة في تقوية روح الابداع .

بيد إن البحث في كل موضوع من هذه المواضيع سيتطلب منا كتابة صفحات عديدة الاّ أننا سنحاول الاختصار والتلخيص لما نألفه من دراية وعمل في مخاطبينا الأعزاء فالعاقل يكتفي بالإشارة .

نأمل أن ينفع هذا القليل غليل الباحثين عن الحقيقة ويكون بادرة خير في هذا الطريق.



الفصل الثاني

الشخصيّة

الشخصية

(الشخصية) هي عبارة عن مجموعة من الخصائص الثابتة في سلوك الإنسان وتصرفاته يتميز بها عن سائر الناس.

لو القينا نظرة إجمالية على هذا التعريف لوجدنا انه يتضمن في طياته المضامين التالية كملاك للتعريف :

١ ـ الثبات والرسوخ .

٢ ـ الاختصاص الفردي .

٣ ـ العقل والشعور .

وهذا التعريف ليس التعريف الوحيد للشخصية فهناك تعاريف عديدة وآراء كثيرة أخرى في تعريف الشخصية إلاّ إنها تفتقر جميعاً إلى كونها جامعة أو مانعة وهما من خصائص التعريف الصحيح .

ومن هذه التعاريف والآراء : يعتقد علماء النفس مثلاً أن لفظ «الشخصية» (personality) مشتق من كلمة (persona) اللاتينية والتي تعني النقاب الذي كان الممثلون يضعونه على وجوههم أثناء

التمثيل في قديم الأيام.

لا شك أن تعاريف كهذه لا تنظر إلى الشخصية من منطلق كونها حقيقة ذاتية وعادة رسمية بل تنظر اليها من منطلق أنها سلوك ظاهري منفصل عن إطار الخصائص الروحية الإنسانية، وبالتالي فهذا النوع من التعريف سيقودنا إلى النتائج التالية:

أوّلاً: أن الثبات في الشخصية أمر وهمي لأن سلوك الإنسان ليس ثابتاً، بل يتغير مع تقلب الأحوال وخصوصاً في مواقع الضيق والشدة، لذا ان الشخصية الإنسانية هي شخصية متزلزلة وان الإنسان هو كائن متغير الأطوار.

غير إننا نعرف أناساً كثيرين لم تتزلزل شخصياتهم ولم تضطرب حياتهم حتى في اصعب حالات الضيق والشدة ولعل وجود أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم الطاهرة خير دليل على وجود هؤلاء العظماء.

فإذا نظرنا إلى سيرة أهل البيت عليهم السلام نرى أن السخاء والكرم هو من السجايا الثابتة التي يتحلى بها الامام الحسين عليه السلام مثلاً، ونرى أن هذه السجية لم تتغير أبداً حتى ظهيرة عاشوراء رغم كل تلك المصائب التي جرت على الإمام عليه السلام في تلك الساعة العصيبة ولذا نرى الإمام عليه السلام يعطي خاتمه بسخاء لشخص جاء إلى الخيام يطلب منه أن يعطيه الخاتم.

ثانياً : إن الإنسان يعيش دائماً نوعاً من الازدواجية والتعارض في حياته فهو يضطر غالبا إلى التظاهر بنوع من السلوك المصطنع خلافاً لرغبته الحقيقية .

ثالثاً : إن الاختصاص ـ الذي يعدّ من العناصر الرئيسية في تعريف الشخصية ـ أمر وهمي لان الكثير من الناس يمكنهم التظاهر بشكل واحد من السلوك .

رابعاً : أن السكينة ـ التي تعتبر النتيجة الطبيعية لانطباق سلوك الإنسان مع بنائه الروحي ـ تتعرض إلى نوع من الخدش والتمزق في هذا النوع من التعريف .

ويفهم من هذا المختصر المفيد أن الشخصية لا يمكن أن تعرّف بأنها نوع من التظاهر أو التمثيل وان تعريف أولئك الذي يرتكزون في تعريفهم على كلمة (parsona) يكون تعريف خاطىء لأننا سنخرج الحياة عن حالتها الحقيقية وتكون حياتنا أشبه بخشبة مسرح من كونها حياة حقيقية لو قبلنا هذا النوع من التعريف .

الآن وبعد أن عرفنا التعريف الأساسي للشخصية ، علينا أن نعلم أن الشخصية هي صورة من الروحيات الإنسانية تظهر على شكل سلوك الإنسان وتصرفاته . «كل أناء بالذى فيه ينضح»

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه : ما هي العلاقة بين «الشخصية»

و «الابتكار» وما هو السبب الذي دعانا لنخصص فصلاً مستقلاً للتعرف على «الشخصية».

والجواب:

علينا أن نأخذ في نظر الاعتبار العوامل التالية في موضوعي «الإدارة» و«استثمار الإمكانيات»:

١ ـ معرفة الإمكانيات.

٢ ـ معرفة السبل والطرق التي تؤدي إلى الهدف المنشود.

٣ ـ استثمار الإمكانيات بأفضل طريقة ممكنة واتباع أفضل السبل للوصول إلى الهدف المنشود.

فالذي يطلب النجاح عليه أن يعرف عناصر السلوك في نفسه لكي يتسنى له أن يتعرف على:

١ ـ النواقص الموجودة في شخصيته.

٢ ـ الحالات الإيجابية الموجودة في شخصية الإنسان الناجح.

٣ ـ السعي إلى التوفيق بين سلوكه وسلوك الإنسان الناجح ليحصل بذلك على شخصية ناجحة تحقق له غايته القصوي.

فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام انه قال:

«من تشبّه بقوم فهو منهم» ، أي أن الشخص الذي يتشبّه بقوم أو بشخص آخر في سلوكه وتصرفاته الفردية والاجتماعية فانه يتطبع بطباعهم بل سيكون واحداً منهم، ولعل الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام والتي تنهى المسلمين عن التلبس بزيّ الكفار والتشبه بهم تكشف عن هذه الحقيقة .

اذن فمعرفة عناصر السلوك في النفس والسعي إلى التشبه بشخصية الإنسان الناجح هي المفتاح الأول والخطوة الأولى في طريق النجاح. وإننا لو خطونا هذه الخطوة وعملنا بجميع أبعاد هذه المقولة فقد اقتربنا إلى حد كبير من هدفنا النهائي وغايتنا القصوى .

مكونات الشخصية

هناك عوامل عديدة تدخل في بناء شخصية الإنسان يمكن جمعها في أربعة بنود رئيسية :

١ ـ الوراثة .

٢ ـ البيئة .

٣ ـ التغذية .

٤ ـ المعلم أو الأسوة .

١ ـ الوراثة

تنتقل العناصر الوراثية من الأبوين إلى الطـفل وتـلعب دورا رئيسيا في تكوين شخصيته بغض النظر عما تلعبه العوامل الثـلاثة الأُخرى من دور في هذا المجال ويشير القران الكريم في هذه الآية الشريفة الى هذه الحقيقة :

﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج الّا نكدا﴾(١).

تحكي هذه الإشارة اللطيفة عن أهمية الأدوار المختلفة التي يلعبها الأبوان في تربية الطفل وتكوين شخصيته لأن شخصية الطفل تتأثر الى حد كبير بنظام شخصية والديه وسلامة طبعهما حتى لو لم يعش بين يديهما ولم يترعرع في حضنهما بعد ولادته أي، إن إطار شخصية الطفل وعناصر سلوكه تنتقل عن طـريق الأبـوين بشكـل وراثي بالشكل الذي نستطيع فيه ان نتبع أو نشاهد عناصر سـلوك الطفل في سلوك والديه .

ومن الواضح ان هناك عـوامـل أخـرى ـ كـالبيئة والتـغذية والتربية ـ تلعب دورا كبيرا في تحديد عامل الوراثـة سـنتطرق إلى الحديث عنها فيما بعد إلا إننا نريد ان نقول في هذا المقام بأنـنا لو

---

(١) الأعراف / ٥٨ .

درسنا عامل الوراثة بشكل مستقل عن سائر العوامل الأُخرى فإننا نرى أن سلوك الطفل هو مرآة لسلوك والديه .

٢ ـ البيئة

تنقسم البيئة التي يعيش فيها الإنسان الى قسمين :

١ ـ البيئة المادية .

٢ ـ البيئة الإنسانية .

البيئة المادية هي مجموعة الأشياء التي تحيط بالإنسان من قبيل الكتب، الدمى ، الأصوات، التصاوير، ...والبيئة الإنسانية هي مجموعة الأشخاص الذين يحيطون بالإنسان ويتواجدون في محلّ تواجده كأهله وأصدقائه وزملائه في المدرسة أو محل العمل وغيرهم .

هذه ألا جزاء البيئوية سواء المادية منها أو الإنسانية هي التي تبلور إطار الشخصية عند الإنسان .

البيئة المادية

لو القينا نظرة عابرة على الأشياء التي تحيط بنا أو بأطفالنا

لاستطعنا أن نتصور الشكل العام أو الحالة العامة التي تشكل شخصيتنا أو شخصية أطفالنا . فالحالة الفيزياوية للأشياء كالنعومة والخشونة أو اللين والشدة لها الأثر الكبير في تكوين طبع الإنسان وصيرورة مزاجه من حيث اللين والشدة ويمكننا مشاهدة هذه الحقيقة في الحرف والمهن المختلفة التي يمتهنها الناس ، فالذين يمتهنون الأعمال العضلية الشاقة ويستخدمون الآلات والأدوات الثقيلة يتسمون عادة بنوع من الحدة في المزاج والفظاظة في الطبع فيما يتسم الذين يشتغلون بالأشياء الناعمة بنوع من اللين واللطافة في طبعهم . اذن فالأشياء التي تحيط بنا من شأنها أن تعبر بشكل واضح عن الأسلوب الذي سننتهجه في سلوكنا وتصرفاتنا. وإذا أردنا التدقيق في دراسة هذا الموضوع فعلينا أن نتساءل :

١ ـ ما هو عملنا ؟

٢ ـ ما هي الأشياء التي نستخدمها دائما في أعمالنا؟ (ما هي نسبة الأشياء الصلبة والأشياء الناعمة التي نستخدمها في عملنا).

٣ ـ ما هو نوع الزي الذي نرتديه عادة ؟

٤ ـ ما هي الأصوات التي تحيط بنا عادة ؟

٥ ـ ما هي المناظر التي اعتدنا على مواجهتها في حياتنا؟

بعد الإجابة على هذه الأسئلة سيكون بإمكاننا أن نخمن الدور الذي يلعبه عامل البيئة المادية في بناء شخصيتنا.

أما بالنسبة للبيئة الإنسانية فعلينا ان نقول ان هذه البيئة اكثر أهمية من البيئة المادية، لأنها العامل الرئيسي في صنع البيئة المادية. ولأننا ننظم بيئتنا المادية على أساس رغبات أصدقائنا وزملائنا .

من هنا يمكننا أن ندرك السبب الذي حدا بأئمتنا أن يدعونا ويؤكدوا على توصيتنا بالدقة في انتخاب الصديق ، فقد ورد في هذا الصدد عدد كبير من الروايات نكتفي بالإشارة الى نزر يسير منها :

١ ـ عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : ان صاحب الشر يعدي وقرين السوء يردي فانظر من تقارن.[١]

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام : عليك بالتلاد وإياك وكل محدث لا عهد له ولا أمان ولا ذمة ولا ميثاق وكن على حذر من أوثق الناس عندك[٢].

لو أمعنا النظر في هذه الروايات لرأينا مدى تأثير الصديق في بناء شخصية الإنسان حتى قيل: «ان المرء يعرف بقرينه» .

أي انك تستطيع مشاهدة آثار الفعل الذي يصدر عن شخص ما في سلوك صديقه الحميم، ولهذا يستعرض أهل البيت عليهم السلام آداباً

---

(١) اصول الكافي / ص ٦١١ (كتاب العشرة) .

(٢) نفس المصدر ص ٦١٠ .

خاصة في انتخاب الصديق والاهتمام بهذا الانتخاب، واليك رواية في هذا الصدد:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو الشيء منها فانسبه إلى الصداقة ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة؛

فأولها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة.

والثاني: أن يرى زينك زينه وشينك شينه.

والثالثة: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال.

والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته.

والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات»[١].

٣ـ التغذية

يجب أن يكون الطعام الذي نتغذى به سالماً من الناحية المادية والمعنوية لأن سلامة الطعام لها دور مباشر في تركيبة كياننا الروحي وتكامل صفاتنا وعاداتنا. وهذه حقيقة يمكننا الوقوف عليها بقليل من الدقة لأن الطعام هو العامل الرئيسي في حركة

---

(١) اصول الكافي / ص ٦١٠.

الأعضاء والجوارح عند الإنسان . فإذا امسك الإنسان عن تـناول الطعام لبضعة أيام فان أعضاء جسمه ستتقلص حركتها حتى تشـلّ بشكل كامل في غضون بضعة أيام، بحيث لا يقدر الإنسـان عـلى تحريك يديه ورجليه بل سيكون عاجزاً عن تحريك عينيه ولسـانه أيضاً إذا استمر بالإمساك .

من هنا يمكن لنا أن نخمن اثر الدور الذي يلعبه الغذاء السالم ـ من الناحية المادية والمعنوية ـ في سلوك الإنسان وتصرفاته لأن لسلوكنا واخلاقنا صـلة وثـيقة بـنوع غـذائـنا وسـلامته المـادية والمعنوية، وما اكثر الشواهد التاريخية في هذا المجال فالدماء التي أراقها الجلادون عبر التاريخ إنما هي حصيلة عدم سلامة أرزاقـهم وهذه حقيقة يمكن الوقوف عليها من خلال دراسة حياتهم. وليس الأبرار والصالحون في المجتمع البشري استثناء على هذه القـاعدة لأن الرزق الحلال وطيب البناء في شخصيات هؤلاء جـعل مـنهم شخصيات طيبة تفيد المجتمع البشري بأسره.

ومن الجدير بنا أن نشير هنا إلى بعض القصص المعروفة في هذا المجال للوقوف على هذه الحقيقة :

قصة شريك بن عبد الله

كان شريك بن عبد الله عالماً فاضلاً زاهداً . ذات يوم دخل

هذا الرجل على المهدي (الخليفة العباسي) فاستقبله الخليفة بحفاوة وتكريم وعرض عليه منصب القضاء في بغداد إلا أن شريكا رفض هذا العرض لعدله وعدم اعتقاده بشرعية مقام الخلافة. لكن الخليفة أصرّ على استخدام هذا الرجل وعرض عليه مهمة تعليم أولاده فرفض شريك هذا العرض لانه كان يكره مصاحبة الملوك ومجالسة أبنائهم.

وعندما عجز الخليفة عن إقناع هذا الرجل خاطبه قائلا: اذن ابق معنا للغداء كي نتعظ بما تنصحنا، فوافق شريك على هذا العرض وجلس على مائدة الخليفة ليأكل من طعامها اللذيذ الفاخر. بعد تناول الطعام التفت طباخ القصر إلى الخليفة وقال له: «سوف لن يرى هذا الرجل الخير والسعادة بعد هذا اليوم».

نعم، لقد تركت لقمة الحرام أثرها في نفس شريك فما لبث طويلا حتى طلب من الخليفة أن ينصبه على مدينة بغداد ثم طلب منه أن يجعله معلماً لأولاده! وما اكثر الجرائم التي ارتكبها هذا الرجل بعد تصدّيه مقام القضاء في بغداد فقد استمر بالخيانة حتى لعنه الامام الصادق عليه السلام ودعا ربه أن ينزع اللحم عن عظامه بأمشطة من نار.[1]

---

(١) التكامل / ج ١، ص ٢٣٠.

وفي مقابل هذه القصة نرى قصة عبد الله بن مبارك :

كان مبارك والد عبد الله بستانيا يعمل في بستان أحد الناس . ذات يوم طلب صاحب البستان من مبارك أن يقطف له عدداً من الرمان الحلو فقطف مبارك عددا من الرمان وجاء به إلى صاحبه فذاق صاحب البستان واحدة منه وقال لمبارك : هذا رمان حامض لقد طلبت منك أن تأتيني برمان حلو !

رجع مبارك وجاء بعدد من الرمان مرة أخرى لكن هذا الرمان كان حامضا أيضاً فغضب صاحب البستان وقال لمبارك : ألا تميز شجرة الرمان الحلو من الحامض بعد كل هذا الوقت ؟

فقال مبارك : صحيح أنى عملت في هذا البستان فترة طويلة من الزمان لكني لم آكل رمانة واحدة من رمان هذا البستان ولا اعلم أيّ الأشجار ثمرها حلو وأي منها ثمرها حامض ! لقد أوكلت لي مهمة حراسة البستان وسقي الأشجار ولم تأذن لي طوال هذه المدة بالاستفادة من ثمرها .

هنا استغرب صاحب البستان من كلام مبارك وتأكد من أمانته بعد أن جرّبه عدة مرات فأحبه كثيرا وزوّجه ابنته فكان ثمرة هذا الزواج أن منّ الله عليه بولد بار سماه عبد الله، فاشتهر ابنه فيما بعد باسم عبد الله الأنصاري العارف الشهير الذي ذاع صيت عرفانه وحبّه لربّه في الآفاق، وكان ممّا كان منه أن قال له رجل ذات

يوم: أني رأيت في المنام انك ستموت بعد سنة، فقال له عبدالله:

«لقد وضعت أمامي وقتاً طويلاً، أعليّ أن أتحمل حزن الفراق ومرارته عاماً آخر من الزمن!»

والجدير بنا أن نتأمل في هذه القصص لنعرف دور الغذاء في حياتنا ونسعى إلى مراقبة أنفسنا.

ومن الجدير أن نشير هنا إلى إننا نتغذى بجميع جوارحنا (بفمنا وعيننا وأذننا وسائر أعضائنا) وعلينا أن نراقب جميع أعضاء جسمنا لتكون لنا شخصية سليمة يرضاها الله تعالى.

٤ـ الأستاذ والمعلم والأسوة

الأثر الأول الذي يتركه الأستاذ والأسوة في شخصية روّاده هو التقليد اللاشعوري في شخصية الفرد وسلوكه تجاه شخصية الأستاذ والسلوك الناجم عن شخصيته.

عندما يختار الإنسان أسوة في حياته فإنه يتأسى بجميع الحركات والسكنات المنبثقة عن شخصية الأسوة ويسعى إلى التشبّه بها. أما الدور الآخر الذي تلعبه الأسوة فهو التشجيع والتحريض على العمل بالأوامر والنواهي ولا شك إن التشجيع والترغيب أو الإنذار والتحذير الصادر عن الأسوة يضمن سلامة الشخصية

الإنسانية ويحافظ عليها من الضياع والانحراف، وان الأستاذ والأسوة قد يحفّز دوافع الإنسان ويوقظ قابلياته ويعبئ طاقاته للوصول إلى الهدف المنشود. وكل هذا يمكن أن يحصل بمجرد تشجيع أو اشادة مناسبة ، والعكس صحيح أيضاً لأن الأستاذ والأسوة قد يسبب المزيد من التخريب والدمار في شخصيات روّاده، وبالتالي قد يؤدي هذا التخريب إلى تدمير القابليات الفردية في الرواد والسبب في ذلك هو السوء في التدبير والسقم في الذوق ليس الاّ.

اذن لمعرفة الأستاذ والأسوة دور فاعل في بناء شخصية الإنسان وتكاملها. وعليه يتضح لنا مدى أهمية انتخاب الأستاذ واختيار الأسوة المناسبة ومدى أهمية صرف الوقت المناسب لتحقيق هذا الأمر الخطير.

اذن على الوالدين أن يختاروا معلماً مناسباً لأولادهم وعلى الشباب أن يهتموا بهذه النكتة المهمة لأن مجرد السلامة في البيان أو الفصاحة في الكلام أو السيطرة على الدروس والمباحث العلمية لا تؤهل الأستاذ لأن يكون معلّماً مناسباً لأن المعلم المناسب هو المعلم الذي يمتلك شخصية عملية جديرة ويتحلّى بخلاقية وتدبير خاص في تشجيع التلاميذ وترغيبهم كي يتسنى له أن يستخدم جميع طاقاته وإمكانياته من اجل تربية

روح الخلاقية والابتكار فيهم .

ولقد أكد نبينا الكريم وائمتنا المعصومون عليهم السلام على إن دور المعلم يشبه دور الأنبياء في تربية النفوس وتزكيتها وان المعلم ينبغي أن يتحلى بالآداب والأخلاق السامية ليكون ناجحاً في عمله الثقافي المقدّس .

مراحل بناء الشخصية

يتم بناء الشخصية عند الإنسان في مرحلتين رئيسيتين :

المرحلة الأولى: هي المرحلة الجنينية وما يسبق هذه المرحلة من الناحية الزمنية. وقد أشرنا إلى أهمية هذه المرحلة في بحث الوراثة . أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي تبدأ بولادة الإنسان وتستمر حتى شيخوخته .

على أن الأفعال الأساسية المنظمة في المرحلة الجنينية تؤثر بشكل واسع على نفسية الطفل وبلورة شخصيته ونكتفي أن نشير هنا إلى أهمية رعاية الأساليب والأسس اللازمة في هذه المرحلة الهامة والتي أوردنا تفصيلها في كتاب آخر تحت عنوان «ما علينا أن نفعل ليكون طفلنا من النوابغ ؟»

وبغض النظر عن المرحلة الجنينية وما يسبق هذه المرحلة

الزمنية علينا أن نذعن بأن كيان الوجود الإنساني وخصوصيات الإنسان الأخلاقية وطبيعة تصرفاته العملية تتبلور في السنين الأولى من حياته، وان الطفل في بداية عمره يمتاز بجاذبية قوية وطبع سليم ونفس طيبة ومرونة عالية، وان هذه الخصائص تتغير أو تضعف تدريجيا مع نمو الطفل وازدياد سني عمره ولعل هذا الكلام المنسوب لأمير المؤمنين ﵇ يجسد هذه الحقيقة :

«العلم في الصغر كالنقش في الحجر»[١] و «من لم يتعلم في الصغر لم يتقدم في الكبر» .[٢]

بعد ملاحظة هذه المضامين علينا أن نتساءل الآن : ما علينا أن نفعل وكيف علينا أن ننظم سلوكنا تجاه أطفالنا لكي نطمئن من مراعاة جميع الأصول في كل مراحل التربية وبناء الشخصية ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة نجد أنفسنا أمام حديث نبوي شريف يستعرض لنا بكل وضوح الأدوار الرئيسية في بناء الشخصية، يقول الرسول ﷺ :

«الولد سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين»[٣].

---

(١) غرر الحكم .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مكارم الاخلاق ص ٢٢٧ .

يبين لنا هذا الكلام الصادر عن الوحي واجباتنا تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين ويعين مقادير توقعاتنا من أنـفسنا ويـعلمنا كـيف نتعامل مع الناس بمختلف أعمارهم لتكون لنـا شـخصية مـتوازنـة سليمة .

الولد سيّد سبع سنين

ومعنى هذه العبارة:

١ ـ أن الطفل ينبغي أن يكون حراً في سلوكه وتصرفاته في هذا السنّ .

٢ ـ علينا أن لا نعزله ولا نستقبح منه أي عمل بشكل مباشر .

٣ ـ أن الطفل يمارس التجربة في هذا العمر فعلينا أن لا نقوم بأي عمل يضيع حق سيادته لكي تقترن أفـعاله وتـصرفاته بـالفهم والتجربة ولكي ينجح في بناء أسس شخصيته.

الولد عبد سبع سنين

تعني هذه العبارة اننا يجب أن نتحكم بسلوك الطفل في هذه المرحلة خلافاً لما كنا نفعل في المرحلة السابقة لأن الطفل هو بمثابة

الأرض التي ينبت فيها كل زرع فعلى الفلاح أن يحرثها ويسقيها في بادئ الأمر لينبت فيها كل شيء ثم يجتث في المرحلة الثانية كل نبات غير مرغوب فيه ليبقى ما يتوخاه من الزرع فقط . أي ان علينا أن نزكي أعمال الطفل في المرحلة الثانية فننمّي الصالح منها ونجتث الطالح كما يقوم الفلاح بهذا العمل في حقله الزراعي.

وعلى الطفل أن يميز في المرحلة الثانية من بناء الشخصية الصفات والأفعال المرفوضة من أفعاله وصفاته لينجح في اجتثاثها بشكل عقلائي لكي :

١ ـ لكي لا تصاب شخصيته بسوء .

٢ ـ لكي تبتعد الرذائل عن شخصيته المتينة بشكل يستحق الإعجاب.

الولد وزير سبع سنين

تعدّ هذه الدورة دورة أساسية في بناء الشخصية شريطة أن نكون قد راعينا أصول التربية في الدورتين السابقتين.

ففي هذه الدورة علينا أن نقوّي روح الخلاقية والابتكار في أنفسنا وفي الآخرين عن طريق التشاور معهم في جميع المسائل الجزئية منها والكلية. لأن التشاور الأفراد الذين تتراوح أعمارهم

بين الرابعة عشر والحادية والعشرين يترك أثراً إيجابياً عـميقاً فـي شخصياتهم، وان الاهتمام بالشباب واحتياجاتهم فـي هـذا العـمر والتجاوب معها بشكل صحيح من شأنه أن يؤثر تأثيراً عـميقاً فـي تنمية معلوماتهم وتقوية أفكارهم وبالتالي بناء شخصياتهم بشكـل رصين لا يتزعزع في نوائب الدهر.

إن النزعة الاجتماعية ورغبة الإنسان في الحضور في أوساط المجتمع من جهة، وانزواءه وخلوته مـع نـفسه مـن جـهة أخـرى والاسئلة التي يطرحها بين الحين والآخـر والحـلول والإجـابات المناسبة والمعقولة التي يجدها إزاء أسئلته من جهة ثالثة، من شأنها أن تحقق نتائج المرحلة الثالثة من نظرية الرسول الكريم ﷺ في بناء الشخصية وتسـفر عـن نـتائج مـرضية تـضمن للإنسـان السـعادة والكمال.

أما بعد، هذه المراحل الأساسية الثلاث التي يأخذ فيها بـناء الشخصية طابعه النهائي تبدأ سرعة بناء الشخصية الإنسانية بالتباطؤ أو التوقف بالتدريج بسبب القيود والحدود التي تفرض عادة عـلى نفس الإنسان بعد هذه المراحل الأساسية الثلاث، إلّا أن هذا الكلام لا يعني عدم فائدة السعي والاجتهاد من اجل بناء الشـخصية بـعد مرور هذه المراحل الثلاث من العمر، بل المراد من هذا الكلام هـو أننا نستطيع أن نتصور أو نخمن بشكل عام الشاكلة النهائية لشخصية

الانسان بعد مرور هذه المراحل الثلاث من حياته، لأن حصول التغييرات الجذرية في الشخصية الإنسانية سيكون صعباً بعد هذه المراحل الثلاث.

ثانياً : ان احتمال دوام وبقاء العادات المكتسبة بعد هذه المراحل الثلاث سيكون ضعيفا جدا لأن اكتساب هذه العادات بعد هذه المراحل سيكون صعباً للغاية وقد يكون مستحيلاً في السنين الأخيرة من العمر فاننا لا نتوقع على الإطلاق تغييراً في سلوك شيخ طاعن في السن حتى لو اعترف بعدم صحة أدائه السابق وأذعن بصحة السلوك أو التصرف الجديد لأن مرونته ودرجة تقبله وتأثره النفسي تأخذ بالنقصان كلما تقدم في السن اكثر.

استحالة الشخصية

ذكرنا في الفصل الأوّل أن الشخصية هي مجموعة من السجايا والأفعال الثابتة التي تصدر عن الإنسان وان بناءها الأساسي يكتمل في العقدين الأولين من عمره .

وها نحن نستعرض الآن نظرية استحالة الشخصية ثم نتطرق إلى دراسة أبعاد الشخصية والاحتياجات الضرورية التي تحتاج إليها الشخصية السليمة.

لا شك أن التغيير في سلوك الإنسان لايتم إلا بعد التغيير والتحول في تجاربه السابقة لأن التجارب السابقة هي العلل والعوامل الرئيسية في صدور الفعل عن الإنسان .

بتعبير آخر ؛ أن سلوك الإنسان هو حصيلة مجموعة من التجارب والمعلومات العامة والخاصة التي تسوق الأعضاء والجوارح إلى القيام بعمل أو فعل ما، وإذا أردنا تغيير هذا السلوك فعلينا أن نستبدل تلك التجارب والمعلومات بتجارب ومعلومات جديدة لتقابلها وتقضي على آثارها السابقة وتحلّ محلها وتكون مصدرا للسلوك الجديد . وبما أن تجارب الإنسان ومعلوماته تزداد مع ازدياد سني عمره لذا سيكون سلوك الإنسان الأكبر سنّاً صادراً عن مجموعة اكبر من التجارب والمعلومات، وفي هذه الحالة سيكون سهم التجربة الجديدة في صدور السلوك صغيراً جداً، وبالتالي سوف لا يكون له أثر كبير في تغيير السلوك وتحوله، أي أن التغيير في السلوك سيكون أكثر صعوبة مع ازدياد سني عمر الإنسان ونضجه الفكري.

بعد هذه المقدمة ومع اخذ هذا الرأي بنظر الاعتبار يمكننا أن نقول الآن : إن تغيير سلوك الإنسان في مراحل الحياة المختلفة يتطلب جهوداً وطاقات متفاوتة وان تنظيم الشخصية وتعديل السلوك في سني الطفولة والشبيبة هو اسهل بكثير مما هو عليه في

سنين الكهولة والشيخوخة.

لذا علينا أن نهتم بجميع أبعاد الشخصية ولوازمها مـن اجـل تأمين سلامتها في السنين الأولى من العـمر لكـي لا تـتعرض إلى التزلزل والانهيار في الفترات اللاحقة.

ثم إن الشخصية تـتعرض فـي زمـن التـغيير إلى عـوارض وانفعالات نفسية شديدة قد تسبب أحيانا خسائر فردية واجتماعية فادحة، لكن هذه العوارض غالباً ما تكون طفيفة وقابلة للنسيان عند الأطفال واليافعين.

الأبعاد العامة في الشخصية السليمة الخلاقة

الشخصية السليمة هي الشخصية التي تتحلى بسـلوك ثـابت وسليم وصحيح . للتعرف على الشخصية السليمة عـلينا أن نـعرف معنى السلامة ودرجاتها المختلفة. لقد أبدى العلماء والحكماء فـي مختلف أدوار التاريخ آراء عديدة في هذا المـجال ، غـير إن آراء الأنبياء كانت هي الأفضل والأكمل بسبب ارتباطها بمعدن الوحي.

لا شك أن الإنسان كائن مجهول ومرموز ويجب أن لا يعرف الاّ من قبل وجود يحيط معرفةً بكل خفايا وجوده وبما إنـنا نـحن البشر مقيدون دائماً بحدود انتمائنا لأبناء جنسنا لذا لا يـمكن لـنا

بمكان أن نشاهد الإنسان مشاهدة تمكننا من معرفته أو توصيفه توصيفاً دقيقاً، وان معرفتنا حيال الإنسان إنما هي معرفة نسبية ليس الاّ وان المعرفة الحقيقية الكاملة لا يمكن التوصل اليها إلاّ عن طريق موجود أسمى وذلك لكي:

١ ـ تكون الحلول التي يقدمها مقبولة لدى الجميع.

٢ ـ تكون المضامين التي يعرضها بعيدة عن الخطأ والاضطراب.

من هنا سيكون دور الأنبياء في صنع شخصية الإنسان وصياغة السلوك الإنساني مقبولاً وعملياً وقادراً على تعديل سلوكنا وتوجيهه إلى الطريق الصحيح لكي لا نحتاج إلى إعادة في بناء شخصيتنا، وثانيا: لنتجنب العوارض والمضاعفات التي تتركها طرق بناء الشخصية وتغيير السلوك على الأبعاد الأُخرى من النفس الإنسانية.

اذن مراجعة الأنبياء والسير على خطاهم هي الطريقة المثلى في معرفة الشخصية السليمة وضمان سلامتها وان تحول الشخصية إلى شخصية سليمة وكيفية هذا التحول هو أمر طبيعي وضروري يتسنى لنا من خلاله أن نتحلى بشخصية ناجحة خلاقة في ظل تعاليم الأنبياء عليهم السلام.



الفصل الثالث

الإبداع

تعريف الإبداع وأهميته

الإبداع هو استخدام مطلق القوى الذهنية من اجل التـوصل إلى فكرة جديدة أو حل جديد أو مفهوم جديد بالنسبة إلى الشخص المبدع ولا نريد هنا بكلمة الجديد أن يكون جديدا بالنسبة لجـميع أفراد البشر بل نريد بذلك أن يكون جـديدا بـالنسبة إلى الشـخص المبدع فقط حتى لو لم يكن جديدا بالنسبة لإنسان آخر .

ومع إن العلماء والباحثين في موضوع الشخصية قد وضـعوا للإبداع تعاريف أخرى الاّ أن هذه التعاريف لاتصدق على جـميع أقسام الإبداع ولا تتسم بجامعية كافية .

أما هذا التعريف فهو يضمّ فـي نـفسه أشـخاصا كـثيرين لا تضمّهم التعاريف الأُخرى . ثم ان لفظ الإبداع بحد ذاته من شأنه أن يكون مشجعا للتطور الكمي والكيفي بين أفراد البشر.

أهمية الإبداع

لا شك أن استمرار حـيوية الإنسـان النـفسية فـي الأنـظمة

الفردية والاجتماعية يتطلب تجديداً مستمراً في بناء الشخصية وتنوعاً منسجماً في مناهج الإنسان ونشاطاته . ومن جهة أخرى إن النفس السليمة ترغب دائما إلى التوصل إلى الحقيقة وتميل إليها كل الميل .

لذا يتضح لنا من خلال هذا الكلام أن الإنسان سيعيش حياة سليمة طالما كان هناك تنوع سليم ومنسجم في نهج حياته وتجديد وبناء مستمر في اساليبه ونشاطاته . أما إذا تغلبت الروتينية على أساليب الحياة ومظاهرها من الناحية الفردية والاجتماعية فان الإنسان سيعيش حياة مملة ويعانى من هبوط في المعنويات، وسيقوده هذا الملل إلى فقدان الرغبة باستمرار الحياة.

اذن نستطيع أن نلخص أهمية الإبداع في جملة واحدة ألا وهي:

«ان استمرار حيوية الإنسان ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإبداعه وخلاقيته».

وعلى هذا الأساس سيتمتع جميع أبناء البشر في حياتهم بنحو أو بآخر بنوع من الخلاقية والإبداع وان التصور القائل بان الإبداع والخلاقية يقتصران على النوابغ والعباقرة هو تصور خاطئ لا أساس له من الصحة وان الإبداع هو السبب الرئيسي في بروز القابليات ونبوغ النوابغ .

أما التقسيمات السائدة في المجتمعات البشرية والتي يقسم فيها الأشخاص على أساس ذكائهم إنما تنجم عن الاعتقاد الخاطئ بالطابع الانحصارى للإبداع . ولا شك إننا لو أتحنا فرص الإبـداع لجميع أبناء البشر فانهم سيعرضون استعداداتهم ويبرزون قابلياتهم إلا أن هذه القابليات سوف لا تكون في مجال واحد لأنها تختلف باختلاف مجالاتها وهذه حكمة من حكم الله عز وجل فـي عـالم الوجود لكي يتسنى للجميع ـ كل حسب قابليته ـ ان يخدم المجتمع البشري بأسره.

وعلى هذا الإحساس علينا إن نعيد النـظر فـي تـصوراتـنا السابقة ونستبدل تقسيم الأشخاص على أساس الذكـاء بـتقسيمهم على أساس القابلية .

موانع الإبداع

الإبداع هو المقدمة لظهور الأذواق والقابليات ولو كان باب الإبداع مفتوحاً أمام جميع الناس لتـفتحت قـابليات جـميع أبـناء البشر. الّا ان هناك موانع عديدة تحول دون تحقق هذا الأمر. والقسم الأعظم من هذه الموانع ناجم عن السياسة الاستعمارية التي انتهجها المستعمرون في الماضي والتي لم تتح للمجتمعات الفـقيرة فـرصة

لابراز وجودها بين سائر المجتمعات عبر التاريخ ، ولم تكن فكرة استثمار الشعوب جديدة في التاريخ بل سبقت تاريخ الفراعنة في مصر واستمرت إلى يومنا هذا حيث تستعمر الدول المتطورة شعوب العالم الثالث الفقيرة .

ان السياسة التي حكمت التاريخ أتاحت فرصة الإبداع للبعض وحرمت البعض الآخر من هذه الفرصة الذهبية ثم جعلت من الفئة الأولى أرباباً، وجعلت من الفئة الثانية رعايا لأولئك الأرباب وجعلت من السلطة وسيلة للاستئثار والاستثمار .

ولو اننا أمعنا النظر اليوم إلى السياسة الحاكمة على العالم لما رأينا شيئاً غير هذه الحقيقة المرة التي لا تزال تشوه وجه التاريخ .

وسنستعرض هنا جميع الموانع التي تقف بوجه الإبداع تاركين للقارىء الكريم أن يحكم بنفسه على منشأ هذه الموانع، كما يجدر بنا أن نذكر القارىء الكريم بأن مجتمعنا لا يزال يعاني من هذا الداء العضال ولا شك أن السبب في ذلك يرجع إلى السياسة الاستعمارية في الأزمنة الغابرة.

ولا يبقى لنا الّا أن نذكر بأن العدالة الاسلامية لا تعني سوى إتاحة الفرصة للجميع لكشف استعداداتهم وابراز خلاقياتهم الفردية .

فهرست الموانع

١ ـ عدم الثقة بالنفس وعدم الاهتمام بـالرساميل الحـقيقية الذاتية .

٢ ـ التخوف من الانتقاد في مراحل العـمر أو بـعد حـصول النتيجة لا سيما لو كانت النتيجة غير مرضية أو تدل على الإخفاق.

٣ ـ التخوف من أن يكون الفرد فرجة للناس.

٤ ـ نزوع الإنسان إلى التلون بلون الجماعة.

٥ ـ تبرير الفعل بدلاً من توضيح السبب.

٦ ـ الكسل الذهني وعدم التركيز على الأمور.

إذا أمـعنا النـظر إلى المـوانـع أعـلاه لرأيـنا أن السـياسة الاستعمارية والاستثمارية البشعة هي السبب الرئيسي فـي جـميع هذه الموانع ، أما المانع الأخير فهو يرتبط ارتباطاً مباشراً بالموانع السابقة وبذلك تكون الموانع السابقة هي السبب في بروز هذا المانع.

وهناك سبب آخر في بروز المانع الأخير وهو عدم استخدام الذهن بشكل مفيد في وقت الضرورة، وللقارىء الكريم أن يـمعن النظر في هذا الأمر ليعرف مدى تأثير الموانع السابقة في بروز هذه الحالة عند الإنسان ولاشك إن التغلب على هذه الموانع وازالتها عن

الطريق هو القدم الأول لظهور الخلاقية والإبداع عند البشر .

علينا إذن :

ـ أن نثق بإمكانياتنا وطاقاتنا الأولية .

ـ أن نمحي عن أذهاننا فكرة عدم استعدادنا وضعف قابلياتنا .

ـ أن لا نخشى لوم أحد من الناس ولو كان من اقرب الناس إلينا.

ـ أن نحترم الجماعة طالما تسير على أساس القيم والعقل وان تكون القيم هي السبب في رغبتنا بالتلون بلونها.

ـ أن يكون لنا دائما دليل في تصرفاتنا وسلوكنا وان نعترف بأخطائنا ولا نسعى إلى تبريرها لأن تبرير الخطأ يسد الطريق على الفكر ويفتح طريق الوهم والخيال.

ـ أن نسعى لتركيز أذهاننا ولنستفد من التعاليم الدينية الواردة في كتب الأخلاق لكي نحصل على النباهة والفطنة اللازمة.

ـ لا شك اننا لو عملنا بهذه التعليمات لوجدنا في أنفسنا الأرضية المناسبة لبروز الخلاقية والإبداع ولخطونا الخطوة الأساسية في سبيل الحكمة والتعقل. ولا ننسى أن نستفيد من آراء العلماء والأساتذة والمفكرين لأنها تسّرع الوصول إلى الهدف المنشود .

خصائص الإنسان الخلّاق

بعد اجتياز الموانع التي تحول دون الخلاقية تبزغ شمس النجاح في أفكارنا ونتاجاتنا، وستقطف الإنسانية ثمار هذا النجاح، وعندئذ ستتحقق خصائص الإنسان الخلاق والتي سنشير أدناه إلى البعض منها :

ـ الإنسان الخلاق لا يعرف الكسل بل هو في حالة جهاد دائم وعمل مستمر بأعضائه وجوارحه وفكره.

ـ الإنسان الخلاق يولي التجربة أهمية خاصة.

ـ التفكر هو بمنزلة الاستراحة للإنسان الخلاق.

ـ الإنسان الخلاق ينظر إلى الظواهر والأشياء من جوانب عديدة ولا يرضى بالوضع الموجود.

ـ الإنسان الخلاق يبحث عن افضل الطرق والحلول وأقلّها كلفة مالية وزمنية وفكرية.

ـ الإنسان الخلاق مرن وقابل للانتقاد ويسعى دائما إلى رفع العيوب.

ـ يهتم بمسائل وقضايا ربما يكون مغفولاً عنها ويعرض أفكاراً جديدة.

ـ الإنسان الخلاق سلس الفكر أي انه يمتلك اكثر من بديل واحد لكل موضوع.

ـ لا يتقيّد بالعادات والتقاليد ولا يجزم بصحة الفرضيات البشرية.

ـ لا يتقيد ولا يطمئن بانطباعاته الذهنية حتى لو كانت صادرة عن أفكاره وذهنه رغم تعبده وتوجهه إلى عالم الغيب.

من البديهي أن هذه الخصائص لا تظهر عند الإنسان دفعة واحدة بل قد تظهر عند بعض الناس بنحو آخر أو بشكل آخر بسبب الاختلاف في الظروف أو البيئوية أو قد يتأخر ظهورها عند بعض الناس. وفي هذه الحالة سوف لن يكون هناك ما يدعو إلى القلق والارتياب لأنكم سوف تقطفون ثمار سعيكم واجتهادكم بعد مرور فترة من الزمن . وسوف نسعى في الصفحات الأخيرة لهذا الكتاب إلى استعراض الحلول والسبل الكفيلة بإنماء روح الابتكار والخلاقية وتعجيل الوصول اليها إن شاء الله.

عملية الخلاقية والإبداع

لقد تعرفنا آنفاً على اصل الخلاقية وموانعها كما تعرفنا على خصائص الإنسان الخلاق وعلينا أن نجد الآن جواباً مناسباً

لهذا السؤال :

كيف تظهر الخلاقية عند الناس ؟ وبتعبير آخر : ما هي مراحل الخلاقية وظهورها ؟

ان التعقيد الموجود في أبعاد الإنسان الروحية من جهة وقلة معرفتنا بماهية هذا الكائن الحي من جهة أُخرى يعقد الإجابة على مثل هذه الأسئلة ولقد اختلف العلماء والمحققون في الإجابة على هذا السؤال وتعددت آرائهم . لذا سنشير هنا إلى بعض هذه الإجابات ونترك للقارىء الكريم مهمة التحقيق في هذا الموضوع.

مراحل الخلاقية والإبداع

ان الخطوة الأُولى في عروج الذهن إلى الخلاقية والإبداع هي صدّه عن الخوض في الأفكار القديمة واستبدال الأفكار القديمة بأفكار إيجابية جديدة.

لذا على الإنسان أن يهتم بحرية الفكر ويولي كل فكرة تخطر على باله أهمية خاصة، لأن الفكرة ـ كل فكرة ـ تستحق التوجه والاهتمام مهما كانت قيمتها حتى لو بدت فكرة بدائية مضحكة، لأن الأفكار البدائية من شأنها أن تكون أساساً لبناء فكري عظيم.

١ ـ معرفة الموضوع

يجب على الإنسان الخلاق أن يعرف حدود الموضوع الذي يفكر فيه لكي يتسنى له أن يتصور الموضوع ويرسمه في ذهنه ولكي لا ينحرف عنه في مراحل تكميل المعلومات أو عرض الحلول أو كشف المفاهيم.

٢ ـ معرفة الحدود والموانع

من المراحل المهمة الأُخرى في الخلاقية والإبداع مرحلة معرفة الحدود والموانع التي ترتبط بالموضوع، لكي يتسنى للإنسان أن يعرف الحلول ويتمكن من محاسبتها واستخدامها في الظروف المناسبة.

لأن الإنسان الخلاق إذا استثنى نفسه عن هذه القاعدة ولم يتخذ تدبيرا مناسبا في هذا الصدد فانه سيواجه مشاكل عديدة وستواجه مشاريعه وانطباعاته الفكرية في مرحلة العمل موانع عديدة قد تستوجب منه إعادة النظر في حساباته السابقة. لذا على الإنسان أن يتنبأ بالحدود والموانع الموجودة في طريقه ليضمن بذلك صحة الحلول والأفكار التي يطرحها على الناس.

٣ ـ الاستطلاع وجمع المعلومات

لا شك أن الاستطلاع وكسب المعلومات يسهلان البحث والتحقيق ويزيدان الموضوع وضوحاً وصراحة ويساعدان على معرفة الحلول والاقتراحات السابقة المرتبطة بموضوع البحث.

اذن يترتب علينا أن نزيد من معلوماتنا لأن كل شيء يرتبط بالموضوع يعد معلومة قيمة من شأنها أن تحل عقدة كبيرة بالمسألة التي نواجهها.

٤ ـ التعرف على الحلول والنتائج السابقة

إن الحلول السابقة التي اقترحها من سبقنا في التحقيق تعد من الحلول القيمة والجديرة بالدراسة :

أولاً : لأنها تطلعنا على طريقة تفكير الآخرين بالنسبة للموضوع .

ثانياً : لأنها تساعدنا على دراسة الحلول مع اخذ آراء الآخرين بنظر الاعتبار.

ثالثاً : لأنها تمكننا من معرفة الموانع ونقاط الضعف الموجودة في الحلول المقترحة ليتسنى لنا دراستها دراسة وافية.

رابعاً : لأنها تمكننا من معرفة نقاط الضعف والقوة والأبـعاد الإيجابية والسلبية في الدراسات السابقة.

خامساً : لأنها تتيح لنا فرصة الإعراب عن تقديرنا لاصحاب الدراسات السابقة.

سادساً : لأنها تساعدنا عـلى تـجنب التكـرار فـي الطـريقة والعمل السابق.

٥ ـ استخدام مرونة الفكر

مرونة الفكر هي القدرة على اقتناء أفكـار مـتنوعة تـرتبط بموضوع واحد ولو أننا استخدمنا أفكارا عديدة فـي حـل مسـالة واحدة أو موضوع واحد لكنا قادرين على التوصل إلى حلول عملية افضل وعندئذ سيقل احتمال وقوعنا في الخطأ لأننا حللنا الأفكار السابقة ولفّقنا تلك الأفكار مع بعضها، وفوق كل ذلك ستعطينا مرونة الفكر نوعاً من القدرة لتحليل المسألة أو الموضوع ودراستها دراسة شاملة.

وصفوة القول هي أن الكمية مقدمة على الكيفية في موضوع الفكر لأننا لا نستطيع الحصول على الكـيفية الفكـرية إلا بـدراسـة الكميات الفكرية وتحليلها.

٦ ـ عامل الزمن

يعدّ الزمن من العوامل المهمة في حصول الخلاقية ومراحل تحققها.

أولاً : لكي تنضج الخلاقية في جميع مراحلها ولا تتلف أي مرتبة من مراتبها.

ثانياً : يجب ان تكون مراحل الخلاقية محدودة بزمن خاص لكي لاتتشتت الأفكار، وعلى أي حال يجب ان تستغرق الخلاقية في كل موضوع زمنا معينا لكي تتحقق النقاط المذكورة أعلاه.

٧ ـ كتابة الملاحظات

سنتطرق إلى البحث في هذا الموضوع لاحقا ونكتفي بالإشارة هنا إلى إن التسجيل الفوري للأفكار والبوادر الذهنية والمعلومات والحلول الأولية يعد من الآليات الأساسية لحصول الخلاقية والإبداع وان أي تساهل في هذا المجال سيؤدي إلى :

١ ـ تقييد الذوق .

٢ ـ تشتت الأفكار وعدم تمركز الذهن على الموضوع .

٣ ـ الخلط بين الحلول الصحيحة والحلول الخاطئة وبالتالي

اتلاف فرص الإبداع وتضييعها .

٤ ـ إرهاق الذهن .

٨ ـ ترك الموضوع عند الشعور بالإرهاق

ينقسم الذهن إلى قسمين رئيسيين : القسم الشعوري والقسم اللاشعوري.

عندما يشعر الإنسان بالإرهاق الفكري (الحالة التي تحصل عند التفكير الطويل بالموضوع) يتعين عليه إن يترك الموضوع ولا يخوض فيه لأنه سيترك في هذه الحالة أمر التفكير بـالموضوع إلى القسم اللاشعوري الذي يعدّ من اعظم أقسام الذهن واكثرها أهمية ، عندئذ سيستمر هذا القسم من الذهن بالتفكير في المـوضوع حـتى التوصل إلى الحل المطلوب.

تسمى هذه الحالة التي يمكن إن يتوصل فيها الشـخص إلى الحل بواسطة التفكير اللاشعوري

«النـوم عـلى المـوضوع = sleeping on the problem»

ويمكن ممارستها بواسطة الاستراحة أو ترك الموضوع والخـوض في موضوع آخر.

٩ ـ خطور الفكرة على البال بشكل فجائي

إن مجموعة المراحل التي مرّ ذكرها تمهد الأرضية اللازمة لخطور الفكرة على بال الإنسان بشكل فجائي.

وهذه الحقيقة هي التي تجسد مفهوم الخلاقية وتقود الإنسان الحديث إلى الإبداع ، وليس من الضروري إن يؤثر في هذا الأمر ـ بشكل مطلق ـ أي عامل زمني أو مكاني ولو كان وجود بعض العوامل كالمكان الهادئ أو البيئة السليمة مؤثراً في حصول هذه الحالة الاّ إن وجود هذه العوامل لايعدّ شرطاً رئيسياً لظهورها. ولو تأملنا بدقة كل إنسان خلاق ولاحظنا زمن الإبداع وظهور الأفكار الجديدة لرأينا أموراً عديدة كالأمور أدناه من شأنها ان تساعد الإنسان على الوصول إلى هذا الهدف المنشود:

١ ـ سلامة النفس والقلب :

لعل قول الشاعر الإيراني حافظ الشيرازي يكفي للدلالة عل هذا المعنى:

القلب مرآة لعالم الغيب ولكن ان لم يكن على المرآة صدأ

فلو كنّا نتمتع بقلب سليم لكان بإمكاننا ان ندرك هذا الإلهام أو البزوغ الفكري بين الحين والآخر.

٢ ـ اطمئنان القلب واستقراره :

إن قلبنا بمثابة اناء من الماء، لو كان الماء فيه صافياً كان بإمكاننا ان نرى وجهنا أو صورة السماء في ذلك الماء وان لم يكن صافياً لن يكون بإمكاننا ان نرى أي شيء فيه لأن الماء المعكر لا يعكس التصوير بشكل واضح حتى لو كان صافياً.

٣ ـ التوجه إلى الفكر المحض والعالم الأعلى:

نحن محتاجون دائماً إلى معدن العقل ومنجم الفكر مهما كانت قوة عقلنا ومهما كان غني فكرنا، لأنه تعالى هو الذي يقذف العلم في قلوبنا:

«العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء».

الإبداع ـ الخلاقية

إن التعقيد الموجود في الخلاقية وتعدّد مراحلها واختلاف حالة بروزها في الأشخاص ذهب ببعض العلماء إلى الاعتقاد باختلاف المعنى بين الخلاقية والإبداع الإبداع والخلاقية يتساويان في المعنى ، غير إن الخلاقية تظهر في الفكر وتعرف بأنها القدرة على خلق فكرة جديدة بينما يظهر الإبداع في عالم المادة والحس وعلى هذا الأساس يعرف بأنه «استخدام الخلاقية بشكل عملي».

اذن الإبداع هو حصيلة الحركة التي تنطلق من الخلاقية أو

المنطق الفكري ثم تتركب مع التجارب الأُخرى لتظهر على شكل ظاهرة جديدة.

على أساس هذا التصور تعدّ الخلاقية في نقطة انطلاقها الأولى من القيم الإنسانية العالية لكنّها غير قابلة للتوصيف أو المشاهدة إلاّ بعد ظهورها على شكل ظاهرة خارجية ذات صور محسوسة من قبيل الآلات الفنية أو المقالات العلمية أو ما شابه ذلك.

يلاحظ من خلال هذا الكلام الارتباط الوثيق بين الإبداع والخلاقية ويفهم أيضاً انه لامفهوم للإبداع بدون وجود الخلاقية وليس العكس بصحيح.

الفصل الرابع

الدافع والهدف

الدافع

إن الدافع هو السبب والعلة الباطنية لشروع الفعل واستمراره وان الأفعال التي تصدر عن الإنسان تنجم غالباً عن سبب باطني يدخل تحت سيطرة عقله تارة ويخرج عن سيطرة طاقته الفكرية تارة أخري، أي انه يتصرف بشكل شعوري حيناً وبشكل لاشعوري حيناً آخر.

لا شك ان احتياجات الإنسان اليومية تختلف باختلاف عللها وقد تختلف العلل حتى تصل إلى درجة التضاد أحياناً، فتكون النتيجة ان يغلب أحد الأطراف الطرف الأخر بسبب تدخل عوامل مختلفة أخرى . والذي يصدر من الإنسان في النهاية هو الفعل الذي تتغلب علته على سائر العلل الأُخرى ، أي إن صدور الأفعال عند الإنسان يعمل على أساس شدة الدوافع، فقد يكون الدافع شديداً أحياناً وتضعف شدته أحياناً أخرى . بتعبير آخر إن الدافع قد يتعرض أحياناً إلى نوع من التغيير وان هذا التغيير قد ينجم عن أحد العوامل التالية :

أ) إرضاء الحاجة

مثلاً الجوع والعطش يعدّان من الدوافع المهمة عند الإنسان ويتغلب العطش على الجوع عادة لكن دافع الجوع يقوى في حالة ارتواء الإنسان ورفع عطشه.

ب) مواجهة مانع ما

قد يواجه الدافع مانعاً أو دافعاً قوياً جديداً يحول دون تحقق فعل الدافع الأول وإرضائه، مثلاً: قد يغلب النعاس دافع الجوع عند الإنسان ويحول دون إرضائه ، ففي هذه الحالة نرى الإنسان يستسلم للنوم رغم شعوره بالجوع الشديد.

ج) تغير الظروف أو البيئة

مثلاً يتغير دافع ارتداء الملابس الصوفية عند تغيير البيئة أو حالة الطقس.

صفوة القول إن الدوافع التي تحدثنا عنها في هذا الفصل من الكتاب هي العوامل الباطنية التي تقرر نوع السلوك أي إن علينا ان نعرف العوامل أو الدوافع الباطنية عند الإنسان ـ سواء الإنسان

العادي أو الإنسان الخلاق ـ لنتعرف على شخصيته وان علينا إن ندرس العوامل والضروريات الباطنية للسلوك الخلّاق وغرزها في أنفسنا لكي نتحلى بنوع من الخلاقية والإبداع وعندئذ :

١ ـ سنحقق دافع الخلاقية في أنفسنا .

٢ ـ سنحقق دافع إعادة بناء الشخصية ونغيّر شخصيتنا من شخصية فاشلة إلى شخصية خلاقة ناجحة.

الهدف

الهدف هو النتيجة أو النتائج المتوقعة من الفعل أو السلوك المعين. للتوصل إلى السلوك واصلاحه علينا ان نعرف الدوافع الخارجية ونقوم بإصلاحها، كما علينا ان نعرف الحوافز الباطنية لكي يطرء الإصلاح عليها .

فالأهداف هي الحوافز الخارجية في طريق النجاح. أي إن الخطوة الأولى للوصول إلى الخلاقية والإبداع هي انتخاب الأهداف السامية الممكنة لأن معرفة الهدف ومتابعته وانتخاب الأهداف الممكنة هو مفتاح النجاح للوصول إلى الخلاقية والإبداع .

لكننا نتعرض أحياناً ـ وبالرغم من وقوفنا على كل عوامل

النجاح ـ إلى نوع من الخيبة والإحباط. والسبب في ذلك هو اننا نختار أهدافاً بعيدة المنال خصوصاً عندما نعيش فترة زمنية خاصة نشعر فيها بنوع من الوجد والتطلع إلى تحقيق المزيد فنرسم أهدافاً بعيدة سرعان ما نفقد معالمها بعد مرور تلك اللحظات العابرة فنقعد ملومين محسورين ونقول في أنفسنا : لقد كنا نركض وراء سراب.

فلا ننسى ان تكون أهدافنا قيمة ممكنة سهلة المنال ولا تكون غريبة إلى درجة لا نرى تحقق مثلها بين أقراننا.

ثم إن الارتباط بين الدافع والهدف أمر مثير للاهتمام، فكلما ازداد الدافع قوة ازداد الهدف كمالاً ورفعة ، ولكننا نلاحظ أحيانا ثمة استثناء في هذه القواعد فلربما كان الدافع قوياً وكان انتخاب الهدف ضعيفاً لا يتناسب مع ذلك الدافع، مثلاً قد يكون دافع الجوع قوياً يرغم الإنسان على سدّ جوعه بقطعة من الرغيف في حين لو كان هذا الدافع (أي الجوع) ضعيفاً أو اقل شدة لما اقتنع الإنسان بقطعة الرغيف هذه ولأخذ يبحث عن طعام لذيذ آخر.

اذن علينا ان نهتم بالحوافز الباطنية والخارجية التي تؤثر على السلوك ونعبئها تعبئة شاملة من اجل الوصول إلى الخلاقية والنجاح.

ولا شك ان هناك حوافز أو عوامل فسلجية أخرى قد تسبق

أحياناً دافع الخلاقية والإبداع إلاّ إننا نستطيع إن نحدد هذه العوامل ونقدم حوافز الخلاقية عليها وننظم تصرفاتنا الخارجية على أساس محور الخلاقية عن طريق عملية التفكير.

الأساليب الفكرية الصحيحة

وليس من الغريب ان يكون دافع بـروز الشـخصية الخـلاقة مرتبطاً بدوافع أو حوافز أخرى من قبيل:

ـ الحوافز الفردية .

ـ الحوافز الاجتماعية : حب التفوق ـ حب الرئـاسة ـ حب التمتع بشعبية واسعة ـ حافز الطموح ومتابعة الهدف في الحياة .

ولا شك ان للمطالعة والتفكير الأثر الكبير فـي تـقوية هـذه الحوافز وأنكم ستجدون أنفسكم بين يدي الخلاقية والنـجاح بـعد تقوية حوافزكم الباطنية واغنائها.



الفصل الخامس

التفكير

الفكر

اتفق معظم العلماء والمفكرين على معنى مفردة الفكر واجمعوا على عبارات مشابهة تدل على حقيقة واحدة.

ومن المناسب هنا ان نستخرج معنى هذه الكلمة من بين كلمات الإمام علي ﷺ، يقول الامام ﷺ: «الفكر رشد».

ويقول في مكان آخر: «الفكر أحد الهدايتين».

أي إن الفكر هو ميل للمقصود والوصول إلى الهدف. يفهم من خلال هذه الأحاديث وسائر الأحاديث الأُخرى التي وردت عن الإمام ﷺ في هذا المجال ان الفكر هو انتقالة ذهنية من موضوع المعلوم إلى موضوع المجهول من اجل كشف المجهول والوصول إلى الهدف.

أهمية الفكر

يعتبر الفكر الميزة الرئيسية التي يتميز بها الإنسان عن سائر

الكائنات ، فبه يكسب الإنسان اعتباره الإنساني ويكون خليفة الله على كل الكائنات بل يكون اشرف المخلوقات وأجلّها شأناً وعظمة.

ولذا يعدّ أمير المؤمنين عليه السلام الفكر من انواع العبادة بل من افضل العبادات[1]

ويعد النبي صلى الله عليه وآله التفكر من افضل عبادات أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

ولو القينا نظرة خاطفة إلى القران الكريم لرأينا ان المخاطب الرئيسي والرسمي في الذكر الحكيم هو الإنسان الفكور.

أما الآن وبعد ان عرفنا فضل الفكر وقيمته، علينا ان نقسم ساعات حياتنا ونخصص الجزء الأكبر منها للتفكير ونروض أنفسنا على البحث عن الحلول والتفكير في جميع الأمور الجزئية منها أو الكلية، فإننا إن روضنا أنفسنا على هذه العادة الحميدة سوف نأسى على ما فاتنا من الفرص لأن سبب كل مشاكلنا هو قلة تفكيرنا وعدم اطلاعنا على الطرق الصحيحة للتفكير، على سبيل المثال إن قليلاً من التفكير في سبب خلق الإنسان سيبين لنا الطريق الصحيح للوصول إلى الكمال وسينقذنا من أنواع الضلالة والانحراف. وخير ما نختم به هذه المقال هو حديث شريف عن الإمام علي عليه السلام، يقول

---

(١) هناك أحاديث عديدة عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال : «الفكر عبادة» ، «أفضل العبادة الفكر» ، «لا عبادة كالتفكير» .

الإمام ﷺ: «تفكرك يفيدك الاستبصار»

أنواع التفكير

بعد ان تبين لنا معنى الفكر وتعرفنا على مفهومه وأهميته علينا أن نعلم ان المهم والمطلوب هو التفكير بحدّ ذاتـه وليس الفكـرة: يقول أحد العظماء قي هذا الصدد: «ان الذي يستحق الثناء هو المعلم الذي يعلم «التفكير» لا المعلم الذي يعلم الأفكار «والنتائج».

أنواع التفكر

إن تقسيم التفكر إلى الأنواع التالية لايعني بمكان إننا نحتاج إلى نوع واحد من هذه الأنواع بل علينا ان نتعلم جميع طرق التفكير هذه لكي نستخدمها عند الضرورة بشكل مطلوب:

١ ـ التفكر الخلّاق.

٢ ـ التفكر العّلي أو السببي.

٣ ـ التفكر الاستقرائي.

٤ ـ التفكر القياسي.

٥ ـ التفكر القضائي.

التفكّر الخلاق

في هذا النوع من التفكر يواجه الذهن الموضوع على أساس الواقعيات الموجودة ويشرع بتصور الموضوع وتجسيمه ودراسة ابعادة المختلفة مستخدماً بذلك آليّة «التخيل»، ثم يجري على هذه التصورات نوعاً من الجرح والتعديل ليختار في النهاية التصور الذي يحتمل فيه اقل الخسائر ، بعد ذلك يجري عليه بعض الإصلاحات اللازمة ويطبقه على أفكاره الواقعية.

اذن التخيل أو التصور هو العامل المهم المكمل للتفكر الخلاق وانه لا يقل أهمية عن معرفة الموضوع أو معرفة الواقعيات الأولية.

يبدأ هذا النوع من التفكر بالنمو والرشد من أوائل سن الطفولة ويستمر هذا النمو في مراحل الحياة المختلفة حسب مقتضيات السن وظروف البيئة ، مثلاً اننا نرى الطفل أحيانا يحدق النظر إلى مكان ما أو نراه غارقاً في عالم الخيال لفترة طويلة من الزمن وما هذه الحالات إلا بداية لنوع من التفكر الخلاق عند الطفل. ولا ننسى إن نذكر الآباء والأمهات والمعلمين ان يتركوا الطفل وشأنه في مثل هذه الحالات لأنها تساعد على تقوية قدرة خياله.

يعلم من هذا الكلام أن كل من يملك قدرة واسعة على التخيل سيكون اكثر تأهلاً للتمتع بنوع من الخلاقية والإبداع.

التفكّر السببي

يبحث الإنسان في هذا النوع من التفكر عن علل واسباب الموضوعات والحوادث ثم يحلل المواضيع المستقبلية مستخدماً طاقاته الذهنية الخلاقة.

والمجال في هذا النوع من التفكر واسع جداً بحيث يمكن للذهن أحياناً ان يتتبع حوادث مستقبلية عظيمة بمجرد اطلاعه على بعض المعلومات البسيطة القليلة الأهمية .

يبدأ هذا النوع من التفكر بالرشد والنمو منذ سنوات الطفولة الأولى لذا نرى الطفل في هذا السن يتساءل ويكرر التساؤل عن كل شيء يواجهه حتى الأمور التي تبدو قليلة الأهمية من وجهة نظرنا، لأن الطفل يريد ان يحلل الوقائع المحيطة به لكي يتسنى له من خلال فهم هذه الوقائع أن يتنبأ بالحوادث المستقبلية الآتية.

والطريف ان الطفل يقسم الوقائع الموجودة وينظمها على أساس الأفكار التي تخطر على باله. وبينما نواجهه نحن أحياناً بنوع من الضعف في التصرف فنفسد عليه كل ما نسجه في خياله. فمن الضروري ان نؤكد هنا ان علينا ان نجيب بشكل كامل وسليم على كل سؤال يطرحه الأطفال علينا لكي نساعدهم بذلك على تقوية هذا النوع من التفكر لأنه سيخدمهم في كل مراحل حياتهم.

اذن علينا ان نقوي هذا النوع من التفكير عن طريق المطالعة والحوار ومبادلة الرؤى والأفكار.

التفكّر الاستقرائي

في هذا النوع من التفكر يسعى الفرد إلى الحصول على نتيجة كلية من الأجزاء الصغيرة المرتبطة بالموضوع، لذا ستكون صحة هذه النتيجة منوطة بصحة الأجزاء وتعدّدها ، مثلاً إذا كانت لدينا أربعة أجزاء فاننا نحصل على نتيجة معينة وإذا ازداد عدد هذه الأجزاء وبلغ الخمسة مثلاً فاننا سوف نحصل على نتيجة كلية أخرى قد تختلف عن سابقتها بشكل كامل.

إن هذا النوع من التفكر يركز على المعلومات وان صحة المعلومات وعدم وجود النقص فيها يسهل الوصول إلى الهدف في هذا النوع من التفكر.

التفكّر القياسي

في هذا النوع من التفكر ينتقل الإنسان من الكل إلى الجزء أي عكس ما كان يفعل في طريقة التفكر الاستقرائي. ففي هذا النوع من

التفكر يحلل الإنسان المواضيع الجزئية على أساس القواعد الكلية الموجودة، ولذلك يرتبط هذا النوع من التفكر ارتباطا وثيقا بالمعلومات العامة والقوانين الكلية الموجودة ودرجة صحة هذه القوانين.

التفكّر القضائي

يسعى الفرد في هذا النوع من التفكر إلى حل المسألة مستخدما بذلك جميع الأجزاء الواقعية والمنطقية الموجودة سواء الكلية منها أو الجزئية.

في الحقيقة إن هذا النوع من التفكر هو مزيج من أنواع التفكر الاستقرائي والقياسي والسببي والخلاق. وخير مثال على هذا النوع من التفكر هو حل المسائل الرياضية التي نستخدم في حلها الأجزاء الواقعية تارة والكليات الواقعية تارة أخرى.

وصفوة القول إن التفكير يتم عن طريق إحدى هذه الطرق الرئيسية الخمسة . وان الطرق الأُخرى التي يذكرها البعض ترتبط بنحو من الأنحاء بإحدى هذه الطرق الخمسة.

ومن الأمور المهمة التي يجب ان نأخذها بنظر الاعتبار ان على الإنسان المتفكر الخلاق إن يعي جميع طرق التفكير هذه ليكون

قادراً على حل جميع مسائله اليومية لأن حل بعض المسائل يحتاج إلى نوع خاص من التفكير بينما تحتاج بعض المسائل الأُخرى إلى مزيج من الطرق المختلفة ليتم حلها بشكل صحيح.

لا شك إننا نستخدم يومياً كل أنواع التـفكير هـذه بـدون ان نعرف اسمها أو نفكر بمعرفتها ولكن علينا ان نعرف كل طريقة مـن هذه الطرائق ونعرف الطرق والحلول التي تؤدي إلى تقويتها لكـي نعمل على تقويتها والاستفادة منها . ولنتذكر دائما ان مجال الخلاقية والنجاح ليس محدوداً وعلينا إن نبعد عن أذهاننا فكرة الاكتفاء بقدر محدود من الخلاقية والإبداع.

مرونة الفكر

بعد تعريف الفكر وبيان أهميته وأنواعه نـرى أن نسـتعرض للقارئ الكريم السبل الكفيلة التي تـضمن تـنمية الفكـر واتسـاعه الكمي.

لاشك ان تعدد الأفكار وتنوعها تبعث الحيوية والنشاط في ذهن الإنسان وتحرضه على الوصول إلى الحقائق.

ومن الخصائص الرئيسية التي يتسم بها الإنسان الخلاق هي مرونته الفكرية . أي ان الإنسان الخلاق يستطيع ان يبلور الكثير من

الأفكار في موضوع واحد وفي مدة قصيرة من الزمن. بعبارة أخرى انه :

أولاً: لا يجد نفسه أمام طريق مسدود في أي لحظة من الزمن.

ثانياً : يشعر دائما بنوع من الحيوية والنشاط الذهني.

ثالثاً : لا يوجد للإخفاق الذهني أي معنى في قاموس حياته.

رابعاً : يتسم بنوع من السرعة في البديهة والقوة في الاستدلال.

عندما لا يكون أمام الإنسان سوى طريق واحد نراه يشعر بنوع من الإحباط لمجرد مواجهة مانع أو انتقاد معين ، بينما لو كان الإنسان يتسم بنوع من المرونة في فكره لاستطاع ان يجيب مخاطبيه ويغير أفكارهم لصالح أفكاره الصحيحة وذلك عن طريق طرح أفكار جديدة تنجم عن مرونة فكره.

بعض التمارين الضرورية لتقوية مرونة الفكر

١ ـ **كتابة الملاحظات** : على كل إنسان يطلب النجاح أن يحمل معه دائما قلما ودفترا ويكتب كل ما يخطر على باله طوال اليوم. ولنتذكر دائما ان أسرع الأشياء نسيانا هي الأفكار التي تخطر

على بالنا فلا نؤخر كتابتها إلى وقت آخر لأننا قد ننساها أو قد تفقد طراوتها بعد مرور الزمن عليها.

إن كتابة الأفكار على شكل ملاحظات يومية تتيح للإنسان فرصة كافية لدراستها وتقييمها لاسيما في حالة عدم وجود مثل هذه الفرصة في لحظة كتابتها. كما تساعد كتابة الملاحظات على حفظ هذه الأفكار من الضياع أو النسيان.

وما اكثر الأفكار التي من شأنها ان تكون أساسا لعلوم جديدة أو سبب لقضاء جزء من حاجات الإنسان الملحة ولكن الناس غافلون عن هذه الحقيقة. لاشك إن اغلب الاختراعات والاكتشافات التي قام بها عباقرة البشر نجمت بشكل أو بآخر عن أفكار آنية وقعت موضع اهتمام اولئك العباقرة، فعلينا أن نسال أنفسنا: كم نحن مهتمون بالأفكار التي تخطر على بالنا ليل نهار؟ وكم هي فرص الاختراع والاكتشاف التي تضيع في العالم كل يوم؟ وكم نحن بعيدون عن أهداف الخلق السامية؟

٢ ـ انتخاب الزمان والمكان : الفكر بحدّ ذاته لا يحتاج إلى زمان أو مكان معين بل هو جزء لايتجزأ من الكيان الإنساني ومن الضروريات الوجودية التي تقوم عليها الإنسانية، فلا يمكن ان يمر على الإنسان زمان أو يكون الإنسان في مكان يستغني فيه عن التفكير.

ولكن الإنسان يحتاج لبلورة أفكاره إلى زمان مناسب ومكان ملائم يكون الذهن فيها على استعداد تام وتكون الروح فيها مفعمة بالحيوية والنشاط ومن الطبيعي إن يختلف الناس في كيفية الزمان والمكان لأن حالات الناس وظروفهم النفسية والجسمية تختلف مع بعضها وكل شخص يحبّذ زمانا خاصا أو مكانا معينا ، وعلى هذا الأساس ليس من الصحيح ان نقول إن الصباح هو افضل وقت للتفكير ولو كانت النفس في هذه الساعات اكثر انشراحا واستعدادا مما هي عليه في الساعات الأُخرى إلا ان هذا لايعني بمكان عدم فائدة الساعات الأُخرى.

والمكان أيضاً من شأنه ان يؤثر على الفكر واتجاهه لان كل موضوع يحتاج إلى مكان خاص يناسبه ، لكننا لو أردنا التفكير بموضوع حر ولم نقيد أنفسنا بموضوع خاص فمن الأفضل ان نختار مكانا طلقا ذا جو ملائم لان هكذا مكان هو اكثر تأثيرا وفائدة من الأماكن الأُخرى .

ولا ننسى ان نغتنم كل فرصة زمانية ومكانية تناسب التفكير لنحصل على فكر مرن خلاق ونحقق النجاح في حياتنا.

٣ـ السؤال والبحث الدقيق : السؤال هو بداية الفكر وان طرح السؤال في موضوع ما لايقل قيمة عن التفكير في ذلك الموضوع ، لأننا نلتحم ونشتبك مع الموضوع عندما نطرح سؤالاً حوله، وان

شدة تعلقنا بالموضوع ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعدد الأسئلة التي نطرحها وأنواع تلك الأسئلة ، فكلما ازداد عدد أسئلتنا ازدادت الأبعاد التي نرتبط معها.

ولا تنسوا أن تكتبوا أسئلتكم حول الموضوع ثم تبحثوا عن جواب مقنع لها وتذكروا دائماً ان الاطلاع على كتب الآخرين وآرائهم سيساعدكم على تنمية أفكاركم وتطويرها.

٤ ـ الاهتمام بوحدة المواضيع والأفكار : إن جميع أفكار البشر مرتبطة مع بعضها الاّ أننا لا نشاهد هذا الارتباط أحيانا فنتصورها منفصلة عن بعضها، والسبب يعود في ذلك إلى ضعف مستوانا الفكري وقلة إدراكنا.

يقول الإمام علي عليه السلام : «العلم نقطة كثرها الجاهلون» .

ولو تعمقنا في دراسة اكثر من موضوع واحد (موضوعين أو اكثر) لأدركنا الارتباط الموجود بين تلك المواضيع، وفي هذه الحالة ستكون درجة إدراكنا لهذا الارتباط دليلاً على درجة بصيرتنا وادراكنا.

وإذا تجاوز عدد هذه المواضيع عدد أصابع اليد وتمكنّا من أدراك الارتباط بينها حينئذ سيكون من حقّنا ان ندعي نوعا من البصيرة والافق في تلك الأمور.

ولاشك ان هذا البند من موضوع مرونة الفكر سينير افق فكرنا وسيزيد بصيرتنا وسيفتح عيوننا على كنه الحقائق في عالم الوجود.

لأننا لو فكرنا بهذه الشاكلة لأدركنا الوحدة بين الحقائق كلها وعندئذ لن نكون من العوام الرعاع ولن نعيش مثلهم وان كانت حياتنا تشبه حياتهم من حيث المأكل والمشرب والملبس، وفوق هذا كله سوف لن نعرض أنفسنا لمختلف أنواع الأمراض النفسية والجسدية ولن نرتكب أنواع الرذائل من اجل اللقمة أو جلب محبة أحد من الناس.

٥ ـ **تغيير الوضع الموجود** : لاشك إن الفكرة تنشأ عن استقرار الموضوعات في الذهن أو في خارجه، وإذا تبدل مكان تلك المواضيع أو تبدل مكان الأفراد أو الشخصيات المرتبطة بتلك المواضيع تبدلت الفكرة أيضاً . مثلا لو حكم أحد الناس في ذهنه حكما معينا على شخص ما، هل سيكون هذا الحكم حكما صحيحا ؟ إذا أردنا معرفة ذلك فعلينا ان نقول لذلك الشخص : ضع نفسك مكان من حكمت عليه وافرض ان هذا الحكم قد صدر عليك فكيف سيكون وضعك الآن ؟ اذن علينا ان نفكر بأسلوب ثابت لا يتغير فيه إلاّ الأشخاص أو العوامل لكي لا تتدخل في أسلوب تفكيرنا عوامل أخرى ليس لها أي ارتباط بالموضوع ولكي يبقى فكرنا نزيهاً من أي نوع من التطّرف أو التعلق.

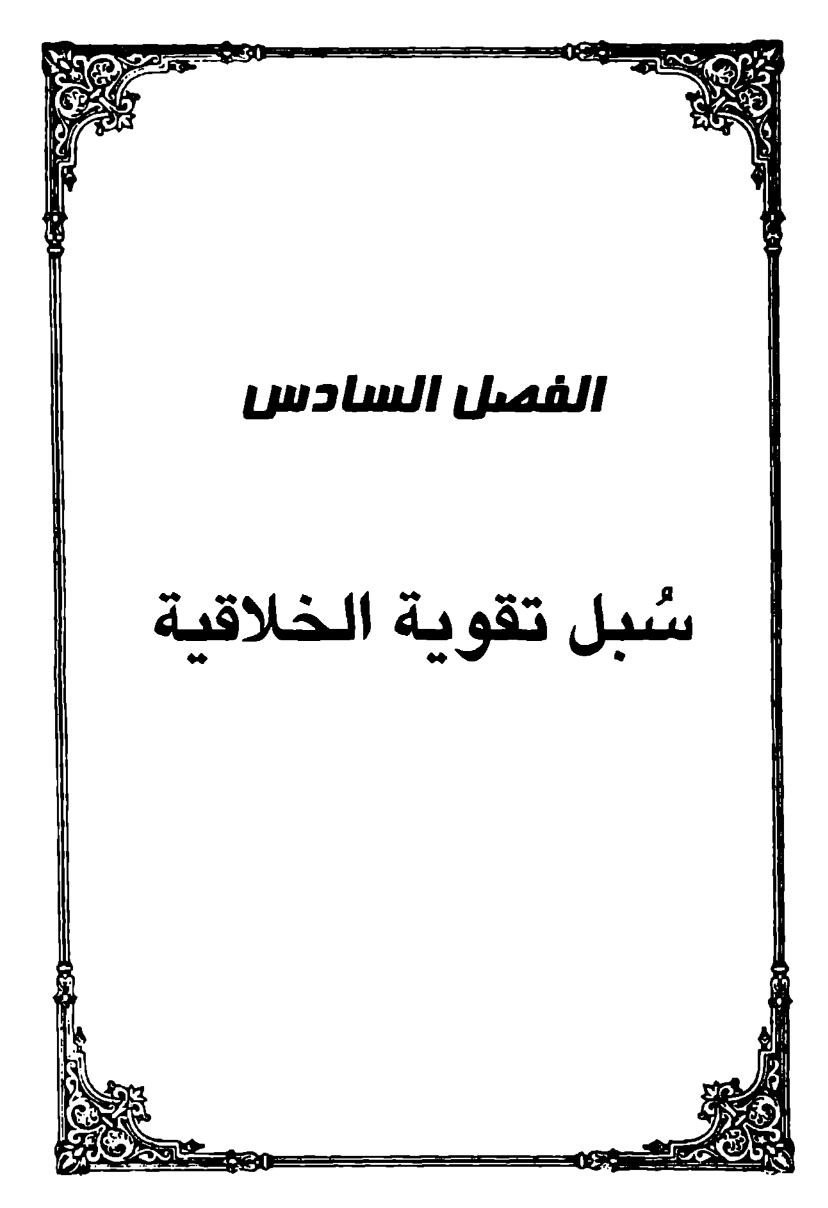
٦ ـ إيجاد مناخ مناسب للبحث أو التثاقف الجماعي : في البداية يجب عليكم ان تعرضوا أفكاركم في محيط محدود. أولاً لكي تكونوا قادرين على تبيين أفكاركم وتبديلها إلى كلام مفهوم، وثانياً لكي تعتادوا على جو النقد أو ربما جو اللوم.

ان العمل بهذه الطريقة سيساعدكم على عدة أُمور:

١ ـ اختبار قدرتكم على بيان آرائكم من اجل إزالة نقاط الضعف الموجودة فيكم .

٢ ـ الدخول في أجواء النقد لكي تسعوا إلى توسيع أفكاركم وتعميقها.

ولا تنسوا انكم ستكونون هدفا لهجوم الأفكار المخالفة ولكن لا تخشوا هذا الهجوم. اقبلوا الحق واخضعوا له وعودوا أنفسكم على قبول الحق لتزداد أفكاركم عمقا ودقة ولكي ترتقوا مدارج الموفقية والنجاح.



الفصل السادس

سُبل تقوية الخلاقية

سبل تقوية عنصر الخلاقية عند الإنسان

قبل ان نشرع بالبحث في هذا الموضوع علينا أن نعرف الموانع التي تحول دون تحقق الخلاقية لكي نسعى إلى رفعها وإزالتها.

ولا يوجد طريق للوصول إلى الخلاقية اقصر وافضل من إزالة الموانع والعوائق الموجودة في طريقها، وسنستعرض في هذا الفصل من الكتاب بعض الوسائل والطرق المؤثرة في هذا المضمار، وهي في الحقيقة محاولات لإزالة تلك الموانع:

الوسائل والطرق المؤثرة في تقوية عنصر الخلاقية

تنقسم هذه الوسائل إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ الوسائل البيئية .

٢ ـ الوسائل الشخصية الجسمية .

٣ ـ الوسائل الشخصية الروحية والنفسية .

الوسائل البيئية

١ ـ اختيار صديق يتسم بنوع من الخلاقية والذوق : هذه الوسيلة من شأنها ان تضاعف قوة عنصر الخلاقية فينا بشرط ان نراعي سائر شروط الصداقة.

٢ ـ الحضور في الأماكن الخاصة : لا شك ان الحضور في المحافل الخاصة التي تتناول المواضيع المقصودة يساعدنا على تقوية عنصر الخلاقية والإبداع، فالحضور في الاجتماعات والمؤتمرات والمحافل العلمية؛ الجامعية منها والحوزوية يسبغ علينا شعوراً وثقافة عامة تقوي فينا عنصر الخلاقية والإبداع فضلا عما تتناوله من موضوعات مفيدة.

٣ ـ تبديل الأماكن الشخصية إلى أماكن تناسب الخلاقية : تزيين الأماكن الشخصية كالبيت أو محل العمل وتغييرها بشكل مستمر وتخصيص مكان للمكتبة والمطالعة من شأنه ان ينشط هذه الأماكن ويجعل منها محلا مناسبا لتقوية عنصري الخلاقية والإبداع.

الوسائل الشخصية الجسمية

١ ـ الاستفادة من الملابس المريحة والمناسبة وتجنب الانشغال المرفوض بها: من الطبيعي ان يميل الإنسان وخصوصا في

أيام شبابه إلى نوع من التنوع في ملبسه وهذا أمر مقبول في حد ذاته ولكن بشرط أن لا ينشغل الإنسان عن سائر ضروريات حياته ولا سيما تطلعاته الفكرية والعقلية.

٢ ـ الاستفادة من الأغذية المناسبة والمقوّية بقدر الحاجة: لاشك ان الإفراط في الأكل يرهق النفس ويصدها عن أهدافها السامية فلا ننسى ان يكون أكلنا «قليلاً ونوعياً» لنضمن بذلك سلامة الجسم وسلامة الروح، كما نوصيكم أيضاً بأكل بعض الحبوب التي تحتوي على مادة المنغنيز كالفستق واللوز لأنها تنشط خلايا الدماغ و وتسهّل عملية الادراك.

٣ ـ تقوية الذاكرة : إذا كان طعام الإنسان سليماً ستكون ذاكرته قوية أيضاً. وقد تضعف الذاكرة أحيانا عند بعض الناس بسبب ظروفهم السّنية الخاصة ، عندئذ يمكن استخدام بعض الوصفات الجسمية والنفسية لتقويتها .

مثلاً يوصي الرسول ﷺ أصحابه بأكل الكرفس لما فيه من الفائدة ولأنّه كان غذاء الخضر عليه السلام.

وفي رواية أخرى يوصي النبي ﷺ أصحابه بأكل العسل لتقوية الذاكرة.

ويوصي الإمام الرضا عليه السلام بأكل مزيج العسل والزنجبيل ثلاث

مرات في كل يوم كما يوصي بإضافة الخردل إلى الطعام لمعالجة داء النسيان وتقوية الذاكرة.

وروي عن الامام علي ﷺ انه أوصى بأكل مزيج الزعـفران والسعد والعسل مثقالين منه في كل يوم وقال انه يقوي الذاكرة حتى تكادوا تظنونه سحراً.

وهناك روايات أُخرى تدعو إلى الاجتناب من بعض الأمور كقراءة ما كتب على القبور، وأكل التـفاح الحـامض والمـعدنوس الأخضر، والمشي بين قطعان الإبل، والهمّ والغمّ، والبول في الماء الراكد، والأكل مما أكل منه الفأر. وتحذّر هذه الروايات أنّ هـذه الأمور تسبب النسيان عند الإنسان.

وقال النبي ﷺ للإمام علي ﷺ : إذا أردت أن تحفظ كل ما تسمع فقل بعد كل صلاة: «سبحان من لا يعتدي على أهل مملكته ، سبحان من لا يأخذ أهل الأرض بألوان العذاب ، سبحان الرؤوف الرحيم ، اللهمَّ اجعل في قلبي نوراً وبصراً وفهماً وعلماً، انك على كل شيء قدير» .

الوسائل الشخصية الروحية والنفسية

١ ـ التعبد والاهتمام بالعبادات والتكاليف الشرعية: الإنسان

موجود الهي بالفطرة وغايته التوجّه إلى الله تعالى.

اذن لو أردنا تحقيق هذا الهدف في كل المجالات سيما في مجال التفكر، علينا أن نربّي أنفسنا تربية شاملة تتضمن كل الأبعاد والأجزاء الروحية والنفسية لكي يكون هذا النمو نموّا طبيعياً سليماً.

والتوجه إلى العالم الأعلى هو من هذه العبادات الروحية المهمة التي تخلّص القلب من الظلمة والضلال وتحرّض الذهن على العمل والمثابرة من اجل الوصول إلى الكمال.

٢ ـ **حفظ السر:** الإنسان ينمو ويتعالى بواسطة حفظ أسراره فكلما ازدادت درجة كتمانه لسرّه ازداد تقرباً من النضج والكمال، فهو بمثابة القدر الذي يطبخ به الطعام كلما احكم اغلاقه أكثر كان طبخ الطعام أسرع.

فإذا أراد الإنسان الوصول إلى النضج والكمال يتعين عليه أن يحفظ لسانه ويواظب على كتمان الأسرار. ولنتذكر دائماً مقولة: «إذا قل كلام الإنسان كبر عقله، وتعالى فكره، وحسنت سيرته».

٣ ـ **المثابرة والصبر على الفشل والإحباط:** الفشل هو مفتاح الفلاح! لأن الإنسان لن يستوي على قدميه حتى يهوى على

الأرض مراراً ومراراً، والصبر على الهزيمة وان كان مرّاً في طبيعته إلا انه يحقق للإنسان أحلى الأثمار.

والجهد والمثابرة علامتان واضحتان تشيران الى ظهور الخلاقية والإبداع.

يروى عن المخترع الأمريكي توماس اديسون انه قال : «لقد توصلت إلى اختراع المصباح الكهربائي بعد ٩٩٩٩ محاولة فاشلة» وعندما قيل له في المرة الأخيرة أتريد إن تفشل للمرة (١٠٠٠٠) قال ! أي فشل ؟ لقد اكتشفت في المرات السابقة أن المصباح لا يصنع بتلك الطرق !

لاحظوا هذه الإرادة انه لا يملّ من الفشل، بل يعتقد ان النتائج السلبية لا تدل على الفشل على الإطلاق، بل تعتبر تجارب ثمينة تستلهم منها الدروس في المستقبل.

٤ ـ الاجتناب من التلقين السلبي والشك والوسواس: لا تلقنوا أنفسكم أو الآخرين تلقينا سلبيا لان التلقين السلبي ظلم بحق البشرية جمعاء. لقنوا أنفسكم والآخرين دائما بأنكم «تقدرون» واحذفوا كلمة «العجز» من قاموس حياتكم واحذروا الشك والوسواس.

يقول الكاتب الانجليزي الشهير وليام شكسبير :

«الشكوك تـخوننا ، إنـها تـبعث فـينا الخـوف وتـبث روح الخمول والتقاعس ، فتكون النـتيجة أن نـفقد مـا كـان مـقدرا لنـا تحقيقه من فوز ونجاح» .

وختاماً **نقول** : إن الخلاقية والنجاح حقان طبيعيان لنا فعلينا أن نضحي بكل غال ونفيس من اجل إحقاقهما، آملين إن تعي امتنا الواعية مغزى هذه الحقيقة.

والحمد لله رب العالمين



المحتويات

الفصل الأول

الإدارة الفكرية

الفصل الثاني

الشخصية

الفصل الثالث

الإبداع

الفصل الرابع

الدافع والهدف

الفصل الخامس

التفكير

الفصل السادس

سبل تقوية الخلاقية